

الوصية الصغرى

تأليف

شيخ الإسلام بن تيمية

رحمه الله
٦٦١ - ٧٢٨ هـ

مقدمة وضياع أحاديثه وعلمه عليه
صيري بن سالمة تاھي



دار الكتاب والسنّة



مكتبة دار الحميضي

الطبعة الأولى
١٤١٦ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة

كتابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قوليٌّ وَمَا صَحَّتْ بِهِ الْأَثَارُ دِينيٌّ
فَدُغْ مَا صَدَّ عَنْ هَادِيٍّ وَخُدْهَا تَكُونُ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ
["فتح العُلُوب" (١٢٧/٢) للنقيري]

رمز الحاسب : RR16-95/003618001
المؤلف : الرصبة الصغرى .
المؤلف : ابن تيمية - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم .
المحقق : شاهين - صبرى بن سلامة .
الناشر : دار الكتاب والسنّة - باكستان .
مكتبة دار الحميضي - الرياض .

مكتبة دار الحميضي

ص.ب ٦٣٥١٩ الرياض ١١٥٢٦

الملكة العربية السعودية

هاتف ٤٢٥٠٦٢٥ - ٤٢٥٠٩٥٢

دار الكتاب والسنّة

P.O.BOX: 11106

Karachi-75300 Pakistan

اسلام آباد - بمنجهام - نيو يورك

بـِسْمِ اللـَّهِ الرـَّحـَمـِنِ الرـَّحـِيمِ
الْمَقَدْمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُورِ
أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَن يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلُ لَهُ، وَمَن يُضْلِلُ فَلَا
هَادِي لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . - ﷺ -

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ . [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يَصْلِحُ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ وَمَنْ يَطْعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيْمًا﴾ . [الأحزاب: ٧١ - ٧٠]

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثَ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدِيَّ هُدِيُّ مُحَمَّدٍ

- **وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار.**

يقول الله - تعالى - في حكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرْ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[الصف: ٢، ٣].

ينبغي على المسلم ألا يغيب عن ذهنه هذا التوجيه الرباني وألا يوصف بهذا الذم وبهذا المقت ﴿كَبُرْ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ . . .﴾ بل يجعل أعماله شاهدة على صدق أقواله. وهكذا كان الصالحون من سلف هذه الأمة - رحمهم الله تعالى - فقد قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: «إِنَّمَا كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْهُ [أَيِّ الْقُرْآنَ] رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ. فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ وَيَنْفَذُونَهَا بِالنَّهَارِ» وينسب هذا القول أيضاً إلى الحسن بن عليٍّ - رضي الله عنهما^(١).

وقال قتادة في قول الله - عزّ وجلّ -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلُّغُو مَعْرُضُونَ﴾. [المؤمنون: ٣٠]. أتاهم والله من أمر الله ما وقذهم عن الباطل^(٢). أي صرفهم وأبعدهم عنه.

وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله . . . وما تدبر آياته إلا باتباعه ، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده . . حتى إن أحدهم ليقول : لقد قرأت القرآن كله

(١) إحياء علوم الدين ١ / ٥٠٠ والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٢٨.

(٢) الزهد لابن المبارك ص ٢٧٦.

فما أسقطت منه حرفاً. وقد والله أسقطه كله، ما يُرجى القرآن له في خلق ولا عمل^(١).

وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]. يعملون به حق العمل^(٢).

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: [ثم إن موصيتك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبك وإيجاد النفس على العمل بموجبه. فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عالماً... فلا تأنس بالعمل ما دامت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منها... والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجح في العاقبة، إذا تفضل الله بالرحمة، وتم على عبده النعمة... والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم. كان العلم كلاً على العالم، ونحوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً... وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا من عمل بها وراعى واجباتها فلينظر امرؤ لنفسه وليعتنم وقته. فإن الثواب قليل، والرحيل قريب، والطريق خوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والنقد بصير والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾]

(١) الزهد ص ٢٧٤.

(٢) الزهد ص ٢٧٣.

خيراً يره». ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره﴿ . [الزلزلة: ٧-٨] ^(١) . وصدق رسول الله - ﷺ - القائل: «مثـلـ الـعـالـمـ الـذـيـ يـعـلـمـ النـاسـ الـخـيـرـ وـيـنـسـىـ نـفـسـهـ كـمـثـلـ السـرـاجـ يـضـيءـ لـلـنـاسـ وـيـحـرـقـ نـفـسـهـ» ^(٢) . وقال الحسن البصري : «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وافق في القلوب وصدقه الأعمال . من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله . ومن قال حسناً وعمل صالحًا رفعه العمل وذلك بأن الله تعالى يقول : ﴿إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ﴾ . [فاطر: ١٠] .

لقد كثـرتـ الـخـطـبـ وـتـنـوـعـتـ الـمـوـاعـظـ وـتـعـدـدـتـ الـدـرـوـسـ فـيـ التـرـغـيبـ وـالـتـرـهـيبـ وـفـيـ الصـدـقـ وـالـلـوـفـاءـ وـحـفـظـ الـعـهـودـ وـأـدـاءـ الـأـمـانـاتـ وـفـيـ الـحـثـ عـلـىـ التـحـلـيـ بـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ فـيـسـمـعـ النـاسـ ذـلـكـ فـيـمـصـمـصـونـ الشـفـاهـ وـتـشـخـصـ الـأـبـصـارـ وـتـشـرـبـ الـأـعـنـاقـ ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ لـمـ يـتـحـركـ مـنـهـمـ سـاكـنـاـ وـلـمـ يـغـيرـ مـنـهـمـ خـلـقاـ .

وقد ألف المؤلفون الكتب والرسائل وكتبوا عن زهد الزاهدين وورع الصالحين وإخبار المؤمنين منهم من صنف في نكبات المستضعفين وذبائح المسلمين وكيف تنتهك الأعراض . أعراض

(١) اقتداء العلم العمل ص ١٥٨ - ١٥٩ باختصار.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١/٨٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٨٣١).

المسلمات لا غير في وحشية مجرمة آثمة ومنهم من رسم بحور الدماء وهب النار يشوي الوجوه، وتناثر الأشلاء فاشترى المسلمين الكتب وعلموا بما يحدث لإخوانهم المسلمين في كل مكان ولكن لا حياة لمن تنادي قد تسقط دمعة أو تتحسج في الصدر حرقة أو يخرج من أموال الآثرياء درهم أو دينار ولكن لم يتغير شيء أو يحدث شيء أو عادت الأمة إلى مجدها التليد وعزها العريض.

[أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر إلى رستم - قائد الجيوش الفارسية وأميرهم - فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنارق المذهبة والزرابي، وأظهروا اليواقيت واللآلبي الثمينة والزيينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيفة، وسيف وترس، وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائل، وأقبل عليه سلاحه ودرعه، وببيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإنما رجعت. فقال رستم: أئذنا له. فأقبل يتوكاً على رمحه فوق النارق. فخرق عامتها، فقالوا له: ماجاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه، إلى خلقه لندعوه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه

أبداً، حتى نفضي إلى موعد الله. قالوا: وما موعد الله؟ قال: الجنة لم يمت على قتال من أبي، والظفر لمن بقي [١] أ. هـ.

هكذا كان الأجداد العظام أما الأحفاد اليوم وما أدرك ما الأحفاد في ذلة وانكسار تحت أقدام الأعداء يقدمون فروض الطاعة ويسبحون بحمدهم ليل ونهار، قد وتهن نجوم الكرة، وأسوتهم مشاهير الرقص والغناء [إن آباءكم - أيها السادة المسلمون - قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرى]، يقولون: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح والصلب والأحبار والرهبان والملوك. وخلصوا الأمة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني. والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض، والأمة الهندية من عبادة البقر. وأنخرجوها إلى عبادة الله وحده. وأنخرجوها فعلاً من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام والعالم ينتظر منذ زمان رسول المسلمين ينتشرون في عواصم الجاهلية الثانية، يهتفون: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن إلى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والأثرة والجشع المادي إلى سعة عالم القناعة والإيثار والزهد ونعيم الروح وطمأنينة القلب. ومن

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

جور النظم السياسية والاجتماعية إلى عدل الإسلام [١١]. هـ.
ولن تتم هذه النقلة ولن تتحقق هذه الأمانة حتى نحقق وصية الله لنا حيث قال سبحانه: ﴿ولقد وصينا الذين أتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾. [النساء: ١٣١]. وقال سبحانه: ﴿وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾. [البقرة: ٨٣].
وقال سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾. [المؤمنون: ٩٦].
ويقول رسول الله - ﷺ -: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها، وخالف الناس بخلق حسن».

لذا رأينا إخراج هذه الوصية الجامعية النافعة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ليكثر تداولها بين المسلمين ويعم نفعها إن كثيراً من القراء قد لا تصل إليهم هذه الرسالة وهي ضمن المجلد العاشر من مجموع الفتاوى.

وهذه الوصية قائمة على ركين أساسين ألا وهما: تقوى الله وحسن الخلق.

أما تقوى الله - عز وجل - فأهم صفات يتحلى بها المتقوون جعلني الله وإياكم منهم.

١ - الإيهان بالغيب وإقامة الصلاة والصدقة. كما قال تعالى:
﴿آمِّمْ ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رِبِّ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾

(١) إلى الإسلام من جديد ص ١٩ أبو الحسن الندوبي.

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون﴿).

[البقرة: ١ - ٣].

٢ - إن من صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون كما قال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتفوى﴾. [البقرة: ٢٣٧].

٣ - ومن صفاتهم أن لا يتجرءون على الكبائر ولا يصررون على الصغائر بل إذا صدر منهم شيء تابوا وأنابوا وندموا واتبعوا السيئة الحسنة تمحها كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾.

[الأعراف: ٢٠١].

٤ - إنهم أصدق الناس في أقواهم وأعمدهم كما قال تعالى: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقوون﴾. [ال Zimmerman: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقوون﴾.

[البقرة: ١٧٧].

٥ - وهم أكثر الناس تعظيمًا لشعائر الله كما قال تعالى: ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾. [الحج: ٣٣].

٦ - وهم أولى الناس بالعدل على أنفسهم وعلى غيرهم كما بين الله تعالى بقوله: ﴿ولا يجرمنكم شنتان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتفوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

٧ - وأهل التقوى يتركون مالا بأس به خوفاً مما به بأس كما بين رسول الله - ﷺ - بقوله: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين

حتى يدع ما لا يأس به حذراً مما به يأس». ويقوله - ﷺ : «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ماحاك في الصدر»

أما حسن الخلق وسلامة الصدر فهذا مالا يدركه إلا الأفذاذ من الرجال رزقني الله وإياكم الأخلاق الفاضلة ولين الجانب وسلامة الصدر فقد قال رسول الله - ﷺ : «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار»^(١).

وقال - ﷺ : «إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً...»^(٢).

وقال - ﷺ : «إن أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيمة خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء»^(٣).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن معاذ بن جبل أراد سفراً فقال : يانبى الله أوصىني ، قال : «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً» قال :

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب / باب في حسن الخلق رقم (٤٧٩٨) وابن حبان رقم (١٩٢٧) موارد وأحمد ٦٤ / ٦ والحاكم ١ / ٦٠ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ١٩٤، ١٩٣ وأحمد الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٤ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أحمد ٦/ ٤٥١ والترمذى في كتاب البر والصلة / باب ماجاء في حسن الخلق رقم (٢٠٠٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

يأنبى الله زدني . قال : «إذا أساءت فأحسن» قال : يأنبى الله زدني .
قال : «استقم وليحسن خلقك» ^(١) .

وقال رسول الله - ﷺ - : «أنا زعيم ببيت في ربع الجنة لمن ترك المرأة وإن كان حقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» ^(٢) .

هذا وأرجو الله - عز وجل - أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفها ومحققها وقارئها وناشرها وأن يكتب لنا الرضا والقبول إنه ول ذلك القادر عليه وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

كتبه

صبرى بن سلامة شاهين
لستة أيام خلون من
شهر ربيع الأول ١٤٦٦هـ
بمدينة الرياض

(١) أخرجه الحاكم ٥٤ / ١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد من روایة البصرىين ولم يخرجاه وكذا في ٤ / ٢٤٤ وابن حبان رقم (١٩٢٢) موارد .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب / باب في حسن الخلق رقم (٤٨٠٠) .
وقال الهيثمى في المجمع ٢٦ / ٨ رواه الطبرانى في الثلاثة والبزار وفي إسناد الطبرانى محمد بن الحصين ولم أعرفه والظاهر أنه التميمي وهو ثقة وبقية رجاله ثقات .

وحسن الألبانى في صحيح الجامع رقم (١٤٦٤) .

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية

قال العلامة المجتهد المفسر صديق حسن خان - رحمه الله تعالى - في كتابه «التاج المكمل»:

شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام «ابن تيمية» الحرانى الدمشقى الحنبلي، تقي الدين أبو العباس.

قال الشوكاني في كتاب شرح الصدور في تحريم رفع القبور: هو الإمام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها، انتهى.

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأ بصار: هو العلامة الحافظ المجتهد الحجة المفسر شيخ الإسلام نادرة العصر علم الزهاد.

وقال ابن رجب: هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولي.

وقال الحافظ شمس الدين بن عبدالهادي في تذكرة الحفاظ: هو شيخنا الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم، سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، قريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، علامة الزمان، ترجمة القرآن، علم الزهاد، أوحد العباد، قامع المبتدعين، علامة المجتهدين.

وقال في البدر الطالع : شيخ الإسلام ، إمام الأئمة المجتهد المطلق ، ولد سنة ٦٦١ هـ .

قال ابن حجر في الدرر : نظر في الرجال والعلل ، وتفقه ، وقهر ، وتقديم وصنف ، ودرس وأفتي ، وفاق الأقران ، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان ، والتتوسع في المقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف ، انتهى .

وأقول أنا^(١) : لا أعلم بعد ابن حزم مثله ، وما أظن سمح الزمان مابين عصري الرجلين بمن يشابههما أو يقاربهما .

قال الذهبي ماملخصه : كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدل ورجح ، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه ، ومارأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه ، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه . كانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقه ، وكان آية من آيات الله في التفسير والتلويع فيه . قال : ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلاثة مائة مجلد ، بل أكثر ، وكان قوّاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

وكان أبيض ، أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، كان عينيه لسانان ناطقان ، ربيعة من الرجال بعيد

(١) القائل هو العلامة صديق حسن خاز - رحمه الله تعالى - .

ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة تعرية حدة؛ لكن يقهرها بالحلم. قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه إليه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان بشراً من البشر تعرية حدة في البحث؛ وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، ولو لا ذلك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلمه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكتز ليس له نظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله

- عَلَيْهِ السَّلَامُ -

قال الذهبي: ولا كان متلاعاً بالدين، ولا يتفرد بمسائل التشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة لمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه وأجران على إصابته، انتهى.

قال الشوكاني: ومع هذا، فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتحن مرة بعد أخرى، وحبس حبساً بعد حبس، وجرت فتن عديدة. والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه، بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويتجاوز به الحد، ويتعصب له، كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنّة، فإنه لابد

أن يستنكرون المقصرون، ويقع له معهم محنّة، ثم يكون أمره الأعلى قوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين. ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا كان حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته، انتهى.

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - في حقه: شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغنى عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره، عني بالحديث، وسمع المستند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير، وما لا يخصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، وبرع في ذلك، وقرأ في العربية، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله - ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون عشرين سنة، وأفتى من قبل عشرين أيضاً، وأمد بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوه الإدراك والفهم وبطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

وقال الذهبي: شيخنا وشيخ الإسلام، فريد الزمان علمًا ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للامة وأمراً بالمعروف ونهياً

عن المنكر، وسمع الحديث وأكثر بنفسه في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل مالم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سياق وخاطر إلى موقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزواً إلى أصوله مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوي الصحابة والتابعين، بحيث أنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده، واتقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلات اختلافاً، ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبره براهين، وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته.

قال ابن رجب: قلت: وقد عرض عليه قضاة القضاة ومشيخة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك، أثني عليه ابن سيد الناس ثناءً بالغاً حسناً، وكتب الذهبي في تاريخه الكبير ترجمة مطولة له، قال فيها: لا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج منه، وإليه المتهم في عزوه إلى الكتب

الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

قال: فلقد كان عجباً في معرفة علم الحديث، ولقد كتب «الحموية» في قعدة واحدة وهي أزيد من ذلك، وله يد طولى في الكلام على المعارف والأحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه وقويمه. وقد ترجم له ابن الزملکانی ترجمة عظيمة، وأثنى عليه ثناءً عظيماً. ومدحه أبو حیان الأندلسی نظماً حسناً.

وكان الحافظ المزی يبالغ تعظیم الشیخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم يُرَ مثله منذ أربعائة سنة.

وقال ابن رجب: بلغني من طريق صحيح عن ابن الزملکانی أنه سئل عن الشیخ، فقال: لم نر - من خمسائة سنة أو أربعائة سنة - الشک من الناقل - وغالب ظنه أنه قال من خمسائة سنة - أحفظ منه». وكذلك المشائخ العارفون كالقدوة محمد بن قوام، ویحکى أنه كان يقول: ماأسلمت معارفنا إلا على يد «ابن تيمية»، والشیخ عماد الدين الواسطي كان يعظمه جداً ويتلمذ له مع أنه كان أسن منه، وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور مقام الصدیقین. وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشیخ ویوصیهم بتعظیمه واحترامه؛ ویعرفهم حقوقه؛ ویذكر فيها أنه طاف أعيان بلاد الإسلام ولم یر فيها مثل الشیخ عملاً وعلماً، وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً في حق نفسه، وقیاماً في حق الله عند

انتهاك حرماته، وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات، ثم قال: أصدق الناس عقلاً، وأصحهم علمًا وعزمًا، وأنفذهم، وأعلاهم في انتصار الحق وقيامه؛ وأسخاهم كفأ، وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد - ﷺ -، مارأينا في عصرنا هذا من يستجلي النبوة المحمدية وستتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح - أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وأما شجاعته فيها تضرب الأمثال وببعضها يتشبه الأكابر الأبطال، فلقد أقامه الله في نوبة غازان، والتقوى أعباء الأمر بنفسه، وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين، وكان «شقحب» يتعجب من إقدامه وجرأته على المغول، وله حدة قوية تعتريه في البحث حتى كأنه «ليث حرب» وهو أكبر من أن ينبه مثلث على نعوتة.

وله نظم قليل وسط، ولم يتزوج، ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شيء قليل، وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غداء ولا عشاء في غالب الوقت، وما رأيت في العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم لا يذكره - ولا أظنه يدور في ذهنه ، وفيه مروءة وقيام مع أصحابه وسعى في مصالحهم، وهو فقير لا مال له، وملبوسه كأحد الفقهاء، ولم يحن لأحد قط ، وإنما يسلم ، ويصافح ، ويتبسم .

وأما محنته فكثيرة ، وشرحها يطول جدًا ، منها: أنه امتحن في

سنة ٧٥٠ هـ بالسؤال عن معتقده - بأمر السلطان - فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه؛ ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعاً ومنهم من قاله كرهأً، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: أنها قصدنا براءة سماحة الشيخ، وتبيّن لنا أنه على عقيدة السلف.

قال الحافظ ابن القيم: سمعت «ابن تيمية» - قدس الله روحه ونور ضريحه - يقول في الحبس، «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي في قلبي، ويستاني في صدري، أين رحت فهي، معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتل شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه يقول: لو بذلت ملأ هذه القلعة ذهباً ماعدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ماجزيتهم على ماتسببوه لي من الخير - ونحو هذا.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربـه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها - نظر إليه، وقال: «فضرب بينهم بسور له بـاب باطنـه فيه الرحمة وظاهرـه من قبلـه العذاب» انتهى حاصلـه.

قال ابن رجب وأما تصانيفـه فهي أشهرـ من أن تذكرـ، وأعرفـ

من أن تنكر، سارت مسيرة الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان بعدًّا المعروف منها ولا ذكرها، ثم ذكر نبذة من أسماء أعيان مصنفاته الكبار، ثم ذكر طرفاً من مفرداته وغرائبه، منها: أنه اختار ارتفاع الحدث بالياه المعتصرة كالورد ونحوه.

ثم ذكر ابن رجب وفاته - رحمه الله - وقال: مرض الشيخ في القلعة بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع - وتكلم به الحرس على الأبراجة فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة، ولم يطبع أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة، واجتمع خلق كثير من أصحابه يبكون ويثنون، وأخبر أخوه أنه منذ دخل القلعة ختم ثمانين ختمة، وانتهى إلى قوله ﴿إِنَّ الْمُتَقِّنَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْدَرٍ صَدَقَ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

صلى عليه الزاهد القدوة محمد بن تمام، وأخرج إلى جامع دمشق، وكان الجمع أجمع من جمع الجمع، ثم ساروا به والناس في بكاء وثناء وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطح، وكان يوماً مشهوداً لم يعهد بدمشق مثله، ولم يختلف من أهل البلد وحواضره

إلا الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا يكون جنائز أهل السنة، فبكى الناس بكاء كثيرا عند ذلك، واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعهائمهم، وصار النعش على الرءوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب المدينة كلها، ودفن وقت العصر، وحضر الرجال بستين ألفا إلى مائة ألف وأكثر، والنساء بخمسة عشر ألفا. ظهر بذلك قول الإمام أحمد: «بيتنا وبين أهل البدع يوم الجنائز» وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أيام كثيرة ليلاً ونهاراً. ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى وأقطار متباudeة، وتأسف المسلمون لفقده، وصلى عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام - القرية والبعيدة - حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة: الصلاة على ترجمان القرآن. انتهى مختصراً^(١).

(١) التاج المكمل من ص ٤٢٠ إلى ص ٤٣٠ ترجمة رقم (٤٦٦).

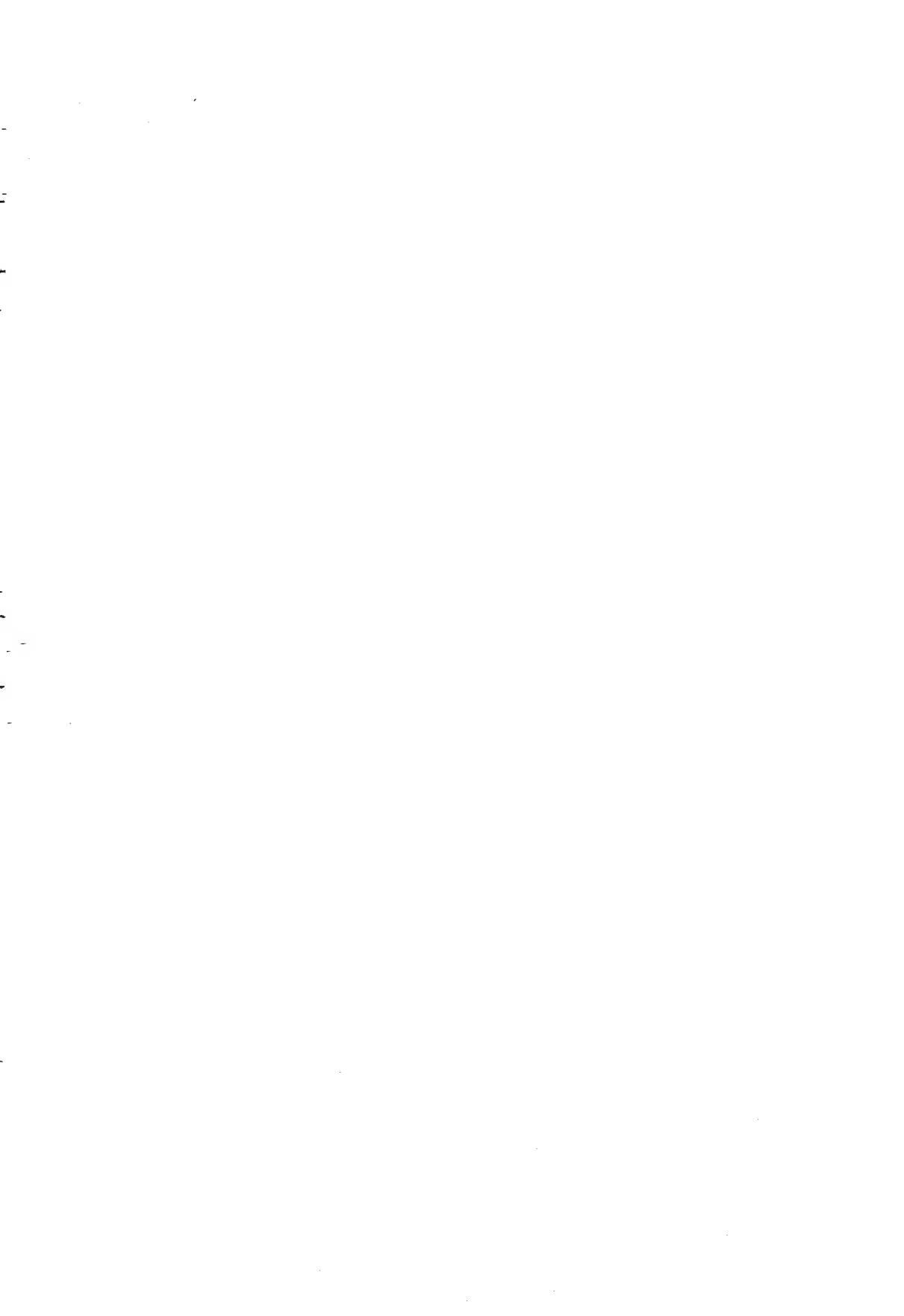
الوصية الصغرى

تأليف

مسنون للهـ دلـم بن تـعـيـسـة

رَحْمَةُ اللهِ
٦٦١ - ٥٧٨

مَقْتَدٌ وَضَيْعَ أَهَادِيَّةٍ وَعَلَى عَلَيْهِ
صَبَرِيُّ بْنُ سَلَمَةَ صَاحِبِي



سؤال أبي القاسم المغربي^(١)

يتفضلُ الشِّيخُ الْإِمَامُ، بقِيَّةُ السَّلْفِ، وَقَدْوَةُ الْخَلْفِ، أَعْلَمُ مِنْ لَقِيَتْ بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَاسِ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بَأْنَ يُوصِيَنِي بِمَا يَكُونُ فِيهِ صَلَاحٌ دِينِيَّ وَدُنْيَايَيَّ، وَيُرْشِدَنِي إِلَى كِتَابٍ يَكُونُ عَلَيْهِ اعْتِنَادِي فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْعِلُومِ الشَّرِعِيَّةِ، وَيُنَبِّهَنِي عَلَى أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ بَعْدِ الْوَاجِبَاتِ، وَيُبَيِّنَ لِي أَرْجَحَ الْمَكَاسِبِ. كُلُّ ذَلِكَ عَلَى قَصْدِ الْإِيمَاءِ وَالْأَخْتِصَارِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - يَحْفَظُهُ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين.

أما «الوصيَّة» فما أعلمُ وصيَّةً أَنْفعَ مِنْ وصيَّةِ الله وَرَسُولِهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا. قال - تعالى - : «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ . [السَّاءَ : ١٣١] (١) .
وَوَصَّى النَّبِيُّ - ﷺ - مُعَاذًا لَمَا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنَ، فَقَالَ : «يَا مُعَاذُ !
اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ
بِخُلُقِ حَسَنٍ» (٢)

(١) والوصية هي وصية جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى أقوامهم فقال - سبحانه - : ﴿كَذَّبُتْ قَوْمًا نَوْحَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نَوْحًا لَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٥ ، ١٠٦] وقال - تعالى - : ﴿كَذَّبَ عَادَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ هُودًا لَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٣ ، ١٢٤] وقال - تعالى - : ﴿كَذَّبَ نَمُودَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ صَالِحًا لَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٤١ ، ١٤٢] وقال - تعالى - : ﴿كَذَّبَ قَوْمًا لَوْطَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ لَوْطًا لَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٠ ، ١٦١] وقال تعالى : ﴿كَذَّبَ أَصْحَابَ لَثِيَّةَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبًا لَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦ ، ١٧٧] .

(٢) أخرجه أحمد ١٥٨ / ٥ والترمذى في كتاب البر والصلة / باب ماجاء في معاشرة الناس رقم (١٩٨٧) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والدارمى في كتاب الرقاق / باب في حسن الخلق رقم (٢٧٩٤) وحسنه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٩٧) .

وتقوى الله - عز وجل - هي وصية رسول الله - ﷺ - لأصحابه فقد ثبت عنه في أكثر من حديث أنه أوصاهم بتقوى الله - عز وجل - فقال - ﷺ - : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة . . .» أخرجه أحمد ٤ / ١٢٦ ، ١٢٧ والترمذى رقم (٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأبوداود رقم (٤٦٠٧) وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٩) .

وكذلك قال رسول الله - ﷺ - : «اتقوا الله وصلوا خسكم وصوموا =

وكان معاذ - رضي الله عنه - من النبي - ﷺ - بمنزلة عليّة ؛ فإنه قال له : «يا معاذ ! والله ! إنّي لأحِبُّك»^(١) وكان يرْدُفُهُ وراءَهُ . ورويَ فيهُ أَنَّهُ : أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ^(٢) ، وَأَنَّهُ يُخْشَىُّ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ

= شهركم .. » أخرجه أحمد ٥ / ٢٥١ والحاكم ١ / ٩ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩) .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله - ﷺ : «أوصيك بتقوى الله تعالى في سر أمرك وعلانقته .. » أخرجه أحمد ٥ / ١٨١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٤) .

وقال أيضاً لأبي هريرة - رضي الله عنه - : «أوصيك بتقوى الله تعالى والتكبر على كل شرف» أخرجه أحمد ٢ / ٣٢٥ ، ٣٣١ ، وابن ماجه رقم (٢٧٧١) والحاكم ١ / ٤٤٥ ، ٤٤٦ و ٩٨ / ٢ وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٥) .

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ : «أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء » أخرجه أحمد ٣ / ٨٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٣) .

(١) أخرجه أحمد ٥ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٧٤ ، وأبو داود في كتاب الوتر / باب في الاستغفار رقم (١٥٢٢) والنسائي في كتاب السهو / باب نوع آخر من الدعاء ٣ / ٥٣ رقم (١٣٠١) وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٥١) وابن حبان (موارد) رقم (٢٢٤٥) والطبراني في الكبير رقم (١١٠) والحاكم ١ / ٢٧٣ وصححه ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٦٩) .

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب المناقب / باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت .. . رقم (٣٧٩١) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن = صحيح .

برتـوة - أـي بـخـطـوة (١) وـمـن فـضـلـه أـنـه بـعـثـه النـبـي - ﷺ - مـبـلـغاً عـنـه ، : دـاعـياً ، وـمـفـقـهاً ، وـمـفـتـياً ، وـحـاكـماً إـلـى أـهـل الـيـمـنـ .
وـكـانـ يـشـبـهـهـ بـإـبـرـاهـيمـ الـخـلـيلـ - عـلـيـهـ السـلـامـ - وـإـبـرـاهـيمـ إـمامـ النـاسـ . وـكـانـ اـبـنـ مـسـعـودـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - يـقـولـ : إـنـ مـعـاذـاً كـانـ أـمـةـ قـاتـنـاً لـلـهـ حـنـيفـاً وـلـمـ يـكـ مـنـ الـمـشـرـكـينـ (٢) ، تـشـبـهـاـ لـهـ بـإـبـرـاهـيمـ .
ثـمـ إـنـهـ - ﷺ - وـصـاهـ هـذـهـ الـوـصـيـةـ ، فـعـلـمـ أـنـهـ جـامـعـةـ ، وـهـيـ كـذـلـكـ

= وأحمد ٣٨٤، ١٨٤ وابن ماجه في المقدمة رقم (١٥٤).

وابن نعيم في الخلية ١/٢٢٨، ٣/٢٢٨ وعبدالرزاق في المصنف رقم (٢٠٣٨٧) وابن حبان رقم (٢٢١٨) موارد . والحاكم ٣/٤٢ وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشييخين ولم يخرجاه . . وافقه الذهبي . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٩٥).

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤ . وعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله - ﷺ : «معاذ بن جبل أعلم العلماء برتوة» رواه الطبراني مرسلًا وفيه محمد بن عبدالله بن أزهر الأنصاري ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤ . وعن عبدالله بن مسعود قال: إن معاذًا كان أمةً قاتنًا لله حنيفاً مسلماً ولم يك من المشركين . فقال بعض جلسائه: «إن إبراهيم» قال: لم أنس . ثم قال: أتدرون ما الأمة؟ قالوا: لا . قال: الذي يعلم الناس الخير . قال: هل تدرؤن ما القاتن؟ قالوا: لا . قال: المطيع لله - عز وجل - . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حجاج بن إبراهيم وهو ثقة .

لِمَنْ عَقَلَهَا، مَعَ أَنَّهَا تَفْسِيرُ الْوَصِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ: ^(١)

(١) قال العلامة ابن القيم في رسالته الموسومة بالرسالة التبوكيَّة: [وَأَمَّا التَّقْوَى فَهُوَ حَقِيقَتُهَا الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ إِيمَانًا وَاحْسَابًا، أَمْرًا وَنَهْيًا، فَيَفْعَلُ مَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ إِيمَانًا وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ وَيَتَرَكُ مَا نَهَى اللَّهُ عَنِّهِ إِيمَانًا بِالنَّهِيِّ وَخَوْفًا مِّنْ وَعِدِهِ، كَمَا قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: إِذَا وَقَعَتِ الْفَتْنَةُ فَاطْفُؤُوهَا بِالْتَّقْوَى. قَالُوا: وَمَا التَّقْوَى؟! قَالَ: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِّنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ. وَأَنْ تَرْكَ مُعْصِيَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِّنَ اللَّهِ فَتَخَافَ عَقَابَ اللَّهِ]. ا. هـ.

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

وكما قيل شعراً:

إِذَا الْمَرءُ لَمْ يُلْبِسْ ثِيَابًا مِّنَ التَّقْوَى تَقْلِبُ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَقِيلٌ:

خَلُ الذُّنُوبُ صَغِيرًا وَكَبِيرًا فَهُوَ التَّقْوَى
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ الشَّوْكِ يَهْزِئُ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرْنَ صَغِيرَةً إِنَّ الْجَبَالَ مِنَ الْحَصَنِ
وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ - تَعَالَى -:

﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونَ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]
ودع ابن عون رجلاً فقال له: عليك بتقوى الله، فإن المتقى ليس عليه
وحشة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل يوصيه: أوصيك بتقوى الله - عز وجل -
التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها.

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني. فقال له: أوصيك بتقوى الله
والإحسان. فإن الله مع الذين انقاوا والذين هم محسنوون.

وقد سُئلَ رسول الله - ﷺ - من أكرم الناس؟ قال - ﷺ -: «أَنْقَاهُمْ
الله...» خرجه البخاري.

أَمَا بَيَانُ جَمِعِهَا، فَلَأَنَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ حَقَّانِ :
حَقُّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - . وَحَقُّ لِعِبَادِهِ .

ثُمَّ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ لَأَبْدَأْ أَنْ يُخْلِلَ بِعَضِيهِ أَحْيَانًا، إِمَّا بِتَرْكِ مَأْمُورٍ
بِهِ، أَوْ فِعْلِ مَنْهِيٍّ عَنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ : «أَتَقَ اللَّهُ حَيْثُمَا كُنْتَ»
وَهَذِهِ كَلِمَةُ جَامِعَةٍ، وَفِي قَوْلِهِ: «حَيْثُمَا كُنْتَ» تَحْقِيقُ لِحَاجَتِهِ إِلَى
التَّقْوَىٰ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»
فَإِنَّ الطَّبِيبَ مَتَى تَنَاوَلَ الْمَرِيضُ شَيْئًا مُضِرًّا أَمْرَهُ بِمَا يُصْلِحُهُ . وَالذَّنبُ
لِلْعَبْدِ كَانَهُ أَمْرٌ حَتَّمَ .

فَالْكَيْسُ هُوَ الَّذِي لَا يَرَأُلْ يَأْتِي مِنَ الْحَسَنَاتِ بِمَا يَمْحُو
السَّيِّئَاتِ . وَإِنَّمَا قَدَمَ فِي لُفْظِ الْحَدِيثِ «السَّيِّئَةُ» وَإِنْ كَانَتْ مَفْعُولَةً،
لَأَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَّا مَحْوُهَا؛ لَا فِعْلُ الْحَسَنَةِ، فَصَارَ كَقَوْلِهِ فِي بَوْلِ
الْأَعْرَابِ: «صُبُوا عَلَيْهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ»^(١) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء / باب صب الماء على البول ٦١/١ .
ومسلم في كتاب الطهارة / باب وجوب غسل البول وغيره من التجassat ..
رقم (٢٨٤)، (٢٨٥) والنسائي في كتاب الطهارة / باب ترك التوقيت في
الماء رقم ٤٧/١ رقم ٥٣ - ٥٦ وأحمد ٢٢٦/٣ وأبو يعلى في المسند رقم (٣٤٦٧)
والبغوي في شرح السنة رقم (٢٩١) وابن ماجه في كتاب الطهارة بباب
الأرض يصيّبها البول كيف تغسل رقم (٥٢٨) .

**وَيَنْبُغِي أَنْ تَكُونَ الْحَسَنَاتُ مِنْ جِنْسِ السَّيِّئَاتِ^(١)، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِي
الْمَحْوِ. وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءٍ:
أَحَدُهَا : التَّوْبَة^(٢).**

**وَالثَّانِي : الْاسْتِغْفَارُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ^(٣). فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ يَغْفِرُ
لَهُ إِجَابَةً لِدُعَائِهِ وَإِنْ لَمْ يَتَبَّعْ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ التَّوْبَةُ وَالْاسْتِغْفَارُ فَهُوَ
الْكَيْلُ.**

(١) قلت: كمن يعق أبيوه فينبغي عليه أن يبالغ في برهما والإحسان إليهما. وكمن يقطع رحمه ويهرج أهله وأقاربه فينبغي عليه أن يصل مانقطع ويقدم لهم البر والإحسان. وكمن يسيء إلى جيرانه فينبغي أن تكون حسناته الماحية لتلك السيئات أن يحسن جوار جيرانه ويتلطف معهم ويبذل لهم المعروف ويبالغ في إماتة الأذى عنهم ومحو سيئاته التي ارتكبها في حقهم. وهكذا.

(٢) قال رسول الله - ﷺ - : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد / باب ذكر التوبة رقم (٤٢٥٠). وقال الهيثمي في جمع الزوائد ٢٠٣ / ١٠ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبو عبيدة لم يسمع من أبيه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٠٨).

(٣) قال الله في الحديث القدسي: «.. ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنب جمِيعاً فاستغفروني أغفر لكم» أخرجه مسلم في كتاب البر رقم (٢٥٧٧).

عن ابن عمر - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله - ﷺ - : «.. ومن استغفر غفر الله له» أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات رقم (٣٤٧٠) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

الثالث : الأعْمَال الصَّالحة المُكَفَّرَةُ^(١)
إِمَّا «الْكُفَّارُ الْمُقْدَرُةُ» : كَمَا يُكَفِّرُ الْمُجَامِعُ فِي رَمَضَانَ^(٢) ،

(١) عن حمران مولى عثمان بن عفان أخبر أنه رأى عثمان دعا بإيانه وتوضاً وغسل كل عضو ثلاثة ثلثاً. ثم قال عثمان: قال رسول الله - ﷺ - : «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غُفران له ما تقدم من ذنبه».

(٢) عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: هلكت يا رسول الله. قال: «وما هلكت؟» قال: وقعت على امرأة في رمضان. قال: «هل تجد ماتعتق رقبة؟» قال: لا. قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال: لا. قال: «فهل تجد ماطعم ستين مسكيناً؟» قال: لا. قال: ثم جلس فأقي النبي - ﷺ - بعرق فيه تمر. قال: «تصدق بهذا» قال: فهل على أفقر منا، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا. فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت نواجذه. وقال: «ادهب فأطعنه أهلك» رواه الجماعة. قال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار ٤/٢١٥ . وفيه أيضاً دليلاً على أنه يجزء التكبير بكل واحدة من الثلاث الخصال. وروي عن مالك أنه لا يجزء إلا الإطعام. والحديث يرد عليه، وظاهر الحديث أنه لا يجزء التكبير بغير هذه الثلاث... وقال: وظاهر الحديث أيضاً أن الكفار بالخصال الثلاث على الترتيب. قال ابن العربي: لأن النبي - ﷺ - نقله من أمر بعد عدمه إلى أمر آخر، وليس هذا شأن التخيير. ونazuع عياض في ظهور دلالة الترتيب في السؤال عن ذلك. فقال: إن مثل هذا السؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير، وقرره ابن المنير. وقال البيضاوي: إن ترتيب الثاني على الأول، والثالث على الثاني بالفائدة يدل على عدم التخيير مع كونها في معرض البيان وجواب السؤال فتنزل منزلة الشرط. وإلى القول بالترتيب ذهب الجمهور. وقد وقع في الروايات ما يدل على الترتيب والتخيير والذين =

والْمُظَاهِرُ^(١) ، وَالْمُرَكِّبُ لِبَعْضِ مَحْظُورَاتِ الْحَجَّ^(٢) ، أَوْ تَارِكُ بَعْضَ

= رروا الترتيب أكثر ومعهم الزيادة. وجمع المهلب والقرطبي بين الروايات بتعدد الواقعه . قال الحافظ : وهو بعيد لأن القصة واحدة والمخرج متعدد والأصل عدم التعدد وجمع بعضهم بحمل الترتيب على الأولوية ، والتخير على الجواز ، وعكسه بعضهم . انتهى كلام الشوكاني وهذا هو اختيار الإمام أحمد كما في مسائله عن ابنه أبي الفضل صالح رقم ٩٩٣ و ٩٩٤ . ٩٩٥

(١) الظهار أن يقول الرجل لامرأته : أنت على كظهر أمي . تحريماً لها على نفسه ، وكفارته أن يعتق رقبة ، فإن لم يستطع صام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً . كما قال - تعالى - في سورة المجادلة : ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتُحرِّرُ رَقْبَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَسَّأُ ذَلِكُمْ تَوَعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتوئمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴿الْمَجَادِلَةُ : ٣ - ٤﴾ .
وانظر نيل الأوطار ٦ / ٢٥٨ - ٢٦٣ .

(٢) محظورات الحج هي :

- ١ - إزالة الشعر عمداً بحلق أو غيره سواء من الرأس أو من الجسد .
- ٢ - تقليم الأظفار .
- ٣ - استعمال الطيب في الثوب أو البدن بعد الإحرام .
- ٤ - الجماع ودواعيه مثل النظر بشهوة أو المباشرة والتقبيل وكذا عقد النكاح .
- ٥ - قتل الصيد البري المتواхش الحلال مثل الظباء والأرانب وكذا الحمام
وهذه الخمسة يتساوى فيها الرجال والنساء .

وَاجْبَاتِهِ^(١) ، أَوْ قَاتِلُ الصَّيْدِ^(٢) بِالْكَفَّارَاتِ الْمُقْدَرَةِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ :

= وأما ما يخص الرجال دون النساء فهو:

١ - لبس المخيط وهو ما يلبس في العادة.

٢ - تغطية الرأس بملامض مثل العمامه والقلنسوة.

وأما ما يخص النساء فهو:

١ - لبس النقاب وستر الوجه به.

فمن كان يؤدي أعمال الحج وارتكب محتظراً من هذه المحظورات فعليه الفدية كفارة لما فعله ومقدار الفدية : إما ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام . وهذه الفدية على التخيير إذا شاء أن يفعل واحدة منها فعل .

(١) واجبات الحج هي :

١ - الإحرام من الميقات.

٢ - الوقوف بعرفة إلى الليل.

٣ - المبيت بمزدلفة .

٤ - المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

٥ - رمي الجمرات .

٦ - طواف الوداع .

فمن ترك واجباً من واجبات الحج فيلزمه دم ، فإن لم يستطع صام عشرة أيام : ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله . وإذا لم يستطع الصوم في الحج صام العشرة كاملة بعد رجوعه إلى أهله .

(٢) أما قاتل الصيد فينظر إن كان للصيد مثل خير بين ثلاثة أشياء :

١ - أن يذبح مثله ويوزعه على فقراء مكة .

٢ - أو يقدر قيمته طعاماً ويوزعه على المساكين لكل مساكين نصف صاع . =

هـدـي وـعـتـق وـصـدـقـة وـصـيـام .
وـإـمـا «الـكـفـارـاتـ الـمـطـلـقـةـ» كـمـا قـالـ حـذـيفـةـ لـعـمـرـ: فـتـنـهـ الرـجـلـ فيـ: أـهـلـهـ وـمـالـهـ وـوـلـدـهـ، يـكـفـرـهـاـ الصـلـاـةـ، وـالـصـيـامـ، وـالـصـدـقـةـ، وـالـأـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ، وـالـنـهـيـ عنـ الـنـكـرـ»^(١) .

وـقـدـ دـلـلـ عـلـىـ ذـلـكـ الـقـرـآنـ وـالـأـحـادـيـثـ الصـحـاحـ فيـ التـكـفـيرـ: بـالـصـلـوـاتـ الـخـمـسـ، وـالـجـمـعـةـ، وـالـصـيـامـ^(٢)، وـالـحـجـجـ، وـسـائـرـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ يـقـالـ فـيـهـاـ: مـنـ قـالـ كـذـاـ، وـعـمـلـ كـذـاـ غـفـرـلـهـ، أـوـ غـفـرـ

= ٣ - أو يصوم عن طعام كل مسكين يوماً.
أما إذا لم يجد للصيد المقتول مثلاً يخير بين الثاني والثالث من الثلاثة السابقة
ويتعفف من الأول.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم / باب الصوم كفاره ٢٢٦ وفي كتاب
الفتن / باب الفتنة التي تمحق كموج البحر ٩٥، ٩٦ وفي كتاب المناقب /
باب علامات النبوة في الإسلام ٤٧٤ / ٤.

ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً
رقم (٢٣١) والترمذمي في كتاب الفتن رقم (٢٢٥٨) وأحمد بن حنبل
رقم (٤٠١)، (٤٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة / باب الصلوات الخمس والجمعة إلى
الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر رقم
(٢٣٣)، (٤١٤)، (٤٠٠)، (٣٥٩)، (١٤)، (١٥)، (١٦).

لَهُ مَا تَقَدَّمَ مَنْ ذَبَّهُ^(١)، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لِمَنْ تَلَقَّاها مِنَ السُّنْنِ خُصُوصًا مَاصْنُفَتْ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ.

وَاعْلَمُ أَنَّ الْعِنَايَةَ بِهَذَا مِنْ أَشَدُّ مَا بِالإِنْسَانِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ إِنْسَانًا مِنْ حِينَ يَلْغُ^٢، خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ؛ وَنَحْوُهَا مِنْ أَزْمِنَةِ الْفَتَرَاتِ الَّتِي تُسْبِّهُ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّ إِنْسَانًا الَّذِي يَنْشَا بَيْنَ أَهْلِ عِلْمٍ وَدِينٍ، قَدْ يَتَلَطَّخُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) مثل ما يروى عن عثمان بن عفان عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من توْضأ نحْوَهِ وَضْوئي هَذَا ثُمَّ يَصْلِي رَكْعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ نَفْسَهُ فِيهِمَا بِشَيْءٍ غَفْرَانٌ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَبَّهِ».

الحاديُّثُ أَخْرَجَهُ البَخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصُّومِ / بَابِ السُّوَاقِ الرَّطِبِ وَالْيَابِسِ لِلصَّائِمِ ٢٣٥ / ٢ وَمُسْلِمُ فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ / بَابِ فَضْلِ الْوَضْوَءِ وَالصَّلَاةِ عَقْبَهُ رَقْمُ (٢٢٩).

وَكَذَا مَا يُروَى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمَ عُرْفَةَ، غَفْرَانٌ لَهُ سَتِينَ مُتَابِعَتَيْنِ».

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الطَّبرَانيُّ فِي الْكَبِيرِ رَقْمُ (٥٩٢٣) وَأَبُو يَعْلَى رَقْمُ (٧٥٤٨) وَقَالَ الْهَشَمِيُّ فِي جَمْعِ الزَّوَادِ ١٩٢ / ٣ [رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَالْطَّبرَانيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرَجَالُ أَبِي يَعْلَى رِجَالُ الصَّحِيفَ].

وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هَرِيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَنْ قَالَ: سَبَّحَ اللَّهَ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مَائِةٍ مَرَّةٍ حَطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مُثْلِ زَيْدِ الْبَحْرِ».

الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ البَخَارِيُّ فِي كِتَابِ الدُّعَوَاتِ / بَابِ فَضْلِ التَّسْبِيحِ . ١٦٨ / ٧

بعدَةِ أَشْيَاءِ^(١)، فَكَيْفَ بَغَيرَ هَذَا؟!

وَفِي الصَّحِيفَتِيْنِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «لَتَبَعَّنَ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذُو الْقُذَّةَ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَهَنَّمَ ضَبَّ لِدَخَلْتُمُوهُ». قَالُوا: يَارَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(٢). هَذَا خَبْرٌ تَصْدِيقِهِ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : «فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخُلُاقِهِمْ وَخُصْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا»^(٣) [التوبه : ٦٩] وَهَذَا شَوَاهِدٌ فِي الصَّحَاحِ وَالْحِسَانِ.

(١) هذا ما يحدث دائماً. وقد حدث في خير القرون عندما ضرب رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فغضب الأنباري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنباري : يالأنصار. وقال المهاجري : ياللمهاجرين . فخرج النبي - ﷺ - فقال : «ما بال دعوى الجahليّة؟» ثم قال : «ما شأْنُهُم؟» فأخبروه بكسرة المهاجري للأنصاري . قال : فقال النبي - ﷺ - : «دعوها فإنها متنّة». وهذا الحديث متفق عليه . انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية رحمه الله ص ٧٠، ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام / باب قول النبي - ﷺ - : «لَتَبَعَّنَ سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ١٥١ / ٨ ومسلم في كتاب العلم / باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم (٢٦٦٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٥ [وَجَمِيعُ سَبَحَانَهُ بَيْنَ الْإِسْتِمَاعِ بِالْخَلَاقِ وَبَيْنَ الْخَوْضِ: لِأَنَّ فَسَادَ الدِّينِ إِمَّا أَنْ يَقُولَ بِالْإِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالْتَّكَلُّمِ بِهِ، أَوْ يَقُولَ فِي الْعَمَلِ بِخَلَافِ الْإِعْتِقَادِ الْحَقِّ. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْبَدْعُ وَنَحْوُهَا. وَالثَّانِي هُوَ فَسْقُ الْأَعْمَالِ وَنَحْوُهَا. وَالْأَوَّلُ =

وهذا أمر قد يسري في المتسبيـن إلى الدين من الخاصة، كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيـنة: فإن كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلى به بعض المتسبيـن إلى العلم، وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلى به بعض المتسبيـن إلى الدين^(١)، كما يصر ذلك من فهم دين الإسلام الذي بعث الله به مـحمدـاً - ﷺ - ثم نزله على أحوال الناس.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن شرـح الله صـدرـه لـلـاسـلام ، فهو على نور من ربـه، وكان مـيتـاً، فأحيـاه الله، وجعل له نوراً يـمشـي به في الناس، لا بد أن يلاحظ أحوالـ الجـاهـلـيةـ، وطـريقـ الـأـمـتـينـ:

= من جهة الشبهـاتـ، والثـانيـ من جهةـ الشـهـوـاتـ. وهذاـ كانـ السـلـفـ يـقـولـونـ: أحـذـرـواـ منـ النـاسـ صـنـفـينـ: صـاحـبـ هـوـاهـ، وـصـاحـبـ دـنـيـاهـ أعمـتهـ دـنـيـاهـ. وـكـانـواـ يـقـولـونـ: أحـذـرـواـ فـتـنـةـ الـعـالـمـ الـفـاجـرـ وـالـعـابـدـ الـجـاهـلـ. فإنـ فـتـنـهـماـ فـتـنـةـ لـكـلـ مـفـتوـنـ. فـهـذـاـ يـشـبـهـ الـمـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ الـذـينـ يـعـلـمـونـ الـحـقـ ولاـ يـتـبعـونـهـ، وهذاـ يـشـبـهـ الـضـالـلـينـ الـذـينـ يـعـمـلـونـ بـغـيرـ عـلـمـ]. ١. هـ.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـهـ اللهـ فيـ اقتـضـاءـ الـصـراـطـ الـمـسـتـقـيمـ صـ ٥ـ [وـجـمـاعـ ذـلـكـ: أنـ كـفـرـ الـيهـودـ أـصـلـهـ منـ جـهـةـ عدمـ الـعـلـمـ بـعـلـمـهـمـ فـهـمـ يـعـلـمـونـ الـحـقـ وـلـاـ يـتـبعـونـهـ قـوـلاـ أوـ عـمـلاـ. أـوـلاـ قـوـلاـ وـلـاـ عـمـلاـ. وـكـفـرـ الـنـصـارـىـ منـ جـهـةـ عـلـمـهـمـ بـلـاـ عـلـمـ. فـهـمـ يـجـتـهـدـونـ فـيـ أـصـنـافـ الـعـبـادـاتـ بـلـاـ شـرـيعـةـ منـ اللهـ. وـيـقـولـونـ عـلـىـ اللهـ مـاـلـاـ يـعـلـمـونـ. وـهـذـاـ كانـ السـلـفـ، كـسـفـيـانـ بنـ عـيـنةـ وـغـيرـهـ يـقـولـونـ: منـ فـسـدـ مـنـ عـلـمـاـنـاـ فـيـهـ شـبـهـ مـنـ الـيهـودـ وـمـنـ فـسـدـ مـنـ عـبـادـنـاـ فـيـهـ شـبـهـ مـنـ الـنـصـارـىـ]. أـهـ.

المغضوب عليهم، والضالين، من: اليهود والنصارى، فيرى أن قد أبْتُلَى بِعْضَ ذَلِكَ^(١)

فَانْفَعْ مَا لِلخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ: الْعِلْمُ بِهَا يُخْلِصُ النُّفُوسَ مِنْ هَذِهِ الورطات؛ وَهُوَ اتِّبَاعُ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ. وَالْحَسَنَاتُ مَا نَدَبَ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ: مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَخْلَاقِ، وَالصَّفَاتِ^(٢).

(١) قلت: من آتاه الله الفقه في الدين والتبصرة بأحوال الغابرين ووقف على ما ابتليت به الأمة من مشابهة المغضوب عليهم والضالين عِلْمَ اليقين أن الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات، وأنه - سبحانه - يحب العاقل الكامل عند حلول الشهوات.

وصدق والله ابن عباس - رضي الله عنهما - عندما قال: مأشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم.

وصدق والله ابن مسعود - رضي الله عنه - حينما قال: أنتم أشباه الأمم ببني إسرائيل سمتا وهديها، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أنني لا أدرى: أتعبدون العجل أم لا؟

وصدق والله حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - حينما قال: المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله - ﷺ -. قلنا: وكيف؟! قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوا.

(٢) اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل والعلم زين وتقوى الله زيته والمتقوون لهم في علمهم شُفَّل وحجة الله يادا العلم باللغة لا المكر ينفع فيها لا ولا الحِيلَ تعلم العلم واعمل ما استطعت به لا يلهيك عنك الله و الجدل =

وَمِمَّا يُزِيلُ مُوجَبَ الذُّنُوبِ: الْمَصَابِ الْمُكَفَّرُ، وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤْلِمُ مِنْ: هُمْ، أَوْ حَزْنٍ، أَوْ أَذًى، فِي مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، أَوْ جَسَدٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ^(١)، لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ.

وعلم الناس وقصد نفعهم أبداً
وعلمت إياك إياك أن يعتادك الملل
فالعلم يعطف من يعتاده الزلل
فأمر عليهم بمعرفة إذا جهلوا
فإن تكن بين قوم لا خلاق لهم
فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر
فكل شاء برجليها معلقة عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا
يُنْسَبُ هَذَا الشِّعْرُ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَلَى الْأَصْبَاهَانِيِّ. انظر كتاب اقتضاء العلم
العمل للخطيب البغدادي تحقيق الألباني رقم ٤٨ .

(١) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ : «ما من مرض أو وجع يصيب المؤمن إلا كان كفارة لذنبه، حتى الشوكة يشاكلها أو النكبة ينكبها».

آخرجه البخاري في كتاب المرض / باب ماجاء في كفارة المرض ١/٧
ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب / باب ثواب المؤمن فيها يصيبه من
مرض أو حزن أو نحو ذلك رقم ٢٥٧٢ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ : «ما يصيب
المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا أذى ولا حزن ولا غم حتى الشوكة
يشاكلاها إلا كفر الله بها من خططيه» متفق عليه .

انظر في ذلك الرسالة القيمة للحافظ ابن رجب الحنبلي الموسومة بـ «غاية
النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع» بتحقيقه ومعها رسالتي
الموسومة بـ «المؤمن بين البلاء والصبر» من إصدارات دار الحميضي
بالرياض .

فَلَمَّا قَضَى بِهَا تَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ : حَقُّ اللَّهِ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحِ ،
وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ ، قَالَ : « وَخَالِقُ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنٍ » وَهُوَ حَقُّ
النَّاسِ .

وَجَمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ : أَنْ تَصْلِي مَنْ قَطَعَكَ
بِالسَّلَامِ ، وَالْإِكْرَامِ ، وَالدُّعَاءِ لَهُ ، وَالاسْتِغْفارِ ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ،
وَالزِّيَارَةِ لَهُ ، وَتُعْطَى مَنْ حَرَمَكَ مِنْ : التَّعْلِيمِ ، وَالْمَنْفَعَةِ ، وَالْمَالِ ،
وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ : فِي دَمٍ ، أَوْ مَالٍ ، أَوْ عِرْضٍ . وَيَعْصُمُ هَذَا
وَاجِبٌ ، وَيَعْصُمُهُ مُسْتَحْبٌ .

وَأَمَّا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ مُحَمَّداً - ﷺ - فَهُوَ الدِّينُ
الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقاً^(١) ، هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ .
وَهُوَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنَ ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : « كَانَ خُلُقُهُ
الْقُرْآنَ »^(٢) وَحَقِيقَتُهُ الْمُبَادِرَةُ إِلَى امْتِشَالِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِطِيبٍ
نَفْسٍ وَانْسِرَاحٍ صَدِيرٍ .

(١) وهو قوله - تعالى - في وصف رسول الله - ﷺ - : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ
عَظِيمٍ ». ^{*}

(٢) قال قتادة - وكان أصيب يوم أحد - : قلت : ياأم المؤمنين ! أنبيني عن خلق
رسول الله - ﷺ - . قالت : ألسنت تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى . قالت : فإن خلق
نبي الله - ﷺ - كان القرآن ». ^{*}

أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين / باب جامع صلاة الليل ومن نام
عنه أو مرض رقم (٧٤٦) وأبو داود في كتاب التطوع / باب في صلاة الليل
رقم (١٣٤٢).

وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ فِي وَصِيَّةِ اللَّهِ، فَهُوَ أَنَّ اسْمَ : تَقْوَى اللَّهِ يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ إِيجَابًاً وَاسْتِحْبَابًاً، وَمَا نَهَى عَنْهُ تَحْرِيمًا

= وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس خلقًا.

أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواقع الصلاة / باب جواز الجماعة في النافلة والصلاحة على حصير رقم (٦٥٩).

وعن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا كنا بذات الرقاع .
قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله - ﷺ -. قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله - ﷺ - معلق بشجرة . فأخذ سيفنبي الله - ﷺ - فاخترطه . فقال لرسول الله - ﷺ -: أتخافي؟ قال: (لا) .
قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فتهدهد أصحاب رسول الله - ﷺ - فأغمد السيف وعلقه . . . وفي رواية: ولم يعاقبه .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجihad والسير / باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٢٢٩/٣ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب صلاة الخوف رقم (٨٤٣) .

الليس يدل ذلك على دماثة خلقه - ﷺ - وسعة حلمه وصفحة واحتماله أذى الأعداء والجهال ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد فأحداث السيرة وكتب السنة فيها الكثير مما بين كرم أخلاقه وعظيم شمائله وصفاته .

فلو حدث معاشر هذا الحدث مع أحد طواغيت الأرض اليوم من الذين يحكمون في الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية ويخذلهم بالنار والحديد . أقول: لو حدث معاشر ذلك أو أقل منه لذهب يرغبي ويزبد ويتوعد ويهدد ويعد العدة ويوظف رجالاته للنيل من فعل ذلك أو من تحدثه نفسه أن يفعل ذلك حتى يصل الأمر إلى القتل بالشبه والزرج في =

وَتَنْزِيهًا^(١)؛ وَهَذَا يَجْمَعُ: حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ الْعِبَادِ.
 لَكِنَّ لَمَّا كَانَ تَارِيَّاً يَعْنِي بِالْتَّقْوَىِ خَشْيَةَ الْعَذَابِ، الْمُقْتَضِيَّةُ
 لِلِّإِنْكِفَافِ عَنِ الْمَحَارِمِ، جَاءَ مُفَسِّراً فِي حَدِيثِ مُعاَدٍ، وَكَذَلِكَ فِي
 حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الَّذِي رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ،
 وَصَحَّحَهُ: «قِيلَ: يَارَسُولَ اللَّهِ! مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟
 قَالَ: «تَقْوَىُ اللَّهِ وَحْسَنُ الْخُلُقِ». قِيلَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ
 النَّارَ؟ قَالَ: «الْأَجْوَافَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(٢).

السجون بما يدور في العقول ومحاربة النطف في الأرحام وإنما الله =
 وإنما إليه راجعون. فأين أولئك المتسبيين إلى الملة المعدودين على الإسلام
 أين هم من تلك الأخلاق العالية والفضائل السامية؟ لا أم لهم. بل الويل
 والخزي والعار لهم وعليهم في الدنيا والآخرة.

(١) تقدم كلام ابن القيم نقلًا عن الرسالة التبوكيه وكلام طلق بن حبيب في تعريف حد التقوى. وقول ابن القيم - رحمه الله - في هذا التعريف: وهذا من أحسن ما قيل في حد التقوى.

وقال ابن القيم - رحمه الله -: [وَأَمَّا التَّقْوَىُ فَهِيَ الطَّرِيقُ الْمُوَصَّلُ إِلَىِ الْبَرِّ
 وَالْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ، وَلَفْظُهَا يَدُلُّ عَلَىِ هَذَا، فَإِنَّهُ فَعْلٌ. وَمَنْ وَقَىَ يَقِيٌّ. وَكَانَ
 أَصْلَهَا وَقَوْيُ فَقْلَبُوا الْوَاوَ تَاءً. كَمَا قَالُوا: تِرَاثٌ مِّنَ الْوَرَاثَةِ. وَتَجَاهَ مِنَ
 الْوَجْهِ، وَتَخَمَّةٌ مِّنَ الْوَحْمَةِ، وَنَظَائِرُهَا. فَلَفْظُهَا دَالٌّ عَلَىِ أَنَّهَا مِنَ الْوَقَايَةِ فَإِنَّ
 الْمُنْتَقِيَّ قد جعل بينه وبين النار وقاية. والوقاية من باب دفع الضر. فالقوى
 والبر كالعافية والصحة]. الرسالة التبوكيه ص ٩.

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب البر والصلة / باب ماجاء في حسن الخلق رقم

= (٤) وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب.

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - عليه السلام - : «أكمل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً»^(١) فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق.

ومعلوم أن الإيمان كله: تقوى الله، وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع، فإنما الدين كله.

لكن ينبوع الخير وأصله: إخلاص العبد لربه: عبادة، واستغاثة، كما في قوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» وفي قوله: «فاغبده وتوكل عليه». وفي قوله: «عليه توكلت وإليه أنيب» وفي قوله: «فابتغوا عند الله الرزق وأعبدوه وأشكروه» بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين، انتفاعاً بهم، أو عملاً لأجلهم، ويجعل همه ربه - تعالى - وذلك بمخالفة الدعاء له في كل مطلوب من: فاقة، وحاجة، ومحافة، وغير ذلك، والعمل له بكل محظوظ. ومن أحكم هذا؟ فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك.

واما ما سألت عنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض . فإنه

= وابن ماجه في كتاب الزهد / باب ذكر الذنوب رقم (٤٢٤٦) وأحمد في المسند . ٤٤٢/٢

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم (٤٦٨٢) والترمذى في كتاب الرضاع / باب حق المرأة على زوجها رقم (١١٦٢) وقال أبو عيسى : حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح وأبو علي في المسند رقم (٤١٦٦).

يختلف باختلاف الناس ، فيما يقدرون عليه ، وما يناسب أوقاتِهم ، فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد^(١) .
 لكن مما هو : كالإجماع بين العلماء بالله وأمره : أن ملائمة ذكر الله ذاتها ، هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة ، وعلى ذلك دل حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم : «سبق المفردون» قالوا : يارسول الله : ومن المفردون ؟ قال : «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات»^(٢) .

وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال : «ألا أنتُم بخير أعمالكم وأركاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، ومن

(١) وهذا حق لأن رسول الله - ﷺ - سئل أكثر من مرة عن أفضل الأعمال فأجاب - ﷺ - بإجابات مختلفة تتناسب مع حال السائل وظروفه وإمكانياته . فقد سئل عن أفضل الأعمال ؟ فأجاب مرة بأن أفضل الأعمال : الحب في الله . وأجاب في مرة أخرى : أفضل الأعمال إيمان بالله . وفي مرة أخرى أجاب بأن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها . وأن الجهاد في سبيل الله أفضل العمل . وسئل أي العمل أفضل ؟ قال : «إيمان بالله ورسوله» قيل : ثم ماذا ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» قيل : ثم ماذا ؟ قال : «حج مبرور» وسئل - ﷺ - : أي العمل أفضل ؟ قال : «الصلاه على مقاماتها» قلت : ثم أي ؟ قال : «ثم بر الوالدين» قلت : ثم أي ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعا / باب الحث على ذكر الله تعالى رقم ٢٦٧٦ .

أَنْ تَلْقَوْا عَدُوكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلْ يَارَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ»^(١).

والدَلَائِلُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالإِيمَانِيَّةُ بَصَرًا، وَخَبَرًا، وَنَظَرًا عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةً.
وَأَقْلَلَ ذَلِكَ أَنْ يُلَازِمَ الْعَبْدُ الْأَذْكَارَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ مُعْلِمِ الْخَيْرِ وَإِمَامِ
الْمُتَّقِينَ - ﷺ - :

كَالْأَذْكَارِ الْمُؤْتَمَةِ فِي أُولِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ^(٢)، وَعِنْدَ أَخْذِ الْمَضْجَعِ^(٣)،

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب القرآن / باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى رقم (٢٤) والترمذي في كتاب الدعاء رقم (٣٣٧٧) وقال أبو عيسى : وقد روی بعضهم هذا الحديث عن عبدالله بن سعيد مثل هذا الإسناد . وروى بعضهم عنه فأرسله .

وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الذكر رقم (٣٧٩٠). وقال معاذ بن جبل : ماعمل امرؤ بعمل أنجي له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله .

وأحمد بن حنبل في المسند ١٩٥/٥ ، ٢٣٩ و ٤٤٧/٦ .

(٢) وهي أذكار الصباح والمساء مثل أن يقال : أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر . رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر » وإذا أصبح قال ذلك أيضاً : « أصبحنا وأصبح الملك لله ».

آخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٧٢٣) .

(٣) قال رسول الله - ﷺ - : « إذا أخذت مضجعك فتوضاً وضوءك للصلاه ، ثم اضطجع على شفتك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، =

وَعِنْدَ الْاسْتِيقَاظِ مِنَ النَّمَامِ ^(١) ، وَإِذْبَارِ الصَّلَوَاتِ ^(٢) .
وَالْأَذْكَارُ الْمُقَيَّدةُ، مِثْلًا مَا يُقَالُ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ ^(٣) ،

= وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وأجلأت ظهري إليك،
رغبة وريبة إليك، لا ملجاً ولا منجاً منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي
أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة».

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب ما يقول إذا نام ١٤٧/٧ ومسلم
في كتاب الذكر والدعاء / باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم
٢٧١٠).

(١) قال رسول الله - ﷺ : «... . وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا
بعدما أماتنا وإليه النشور».

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب وضع اليد اليمنى تحت الخد
الأيمن ١٤٧/٧.

(٢) عن ثوبان قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا انصرف من صلاته، استغفر
ثلاثاً. وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تبارك ذا الجلال
والإكرام».

أخرجه مسلم في كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان
صفته رقم (٥٩١).

وقال رسول الله - ﷺ : «من سبع الله في دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين،
وحمد الله ثلاثة وثلاثين، وكبر الله ثلاثة وثلاثين. فتلك تسعه وتسعون.
وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قادر، غفرت خططيه وإن كانت مثل زبد البحر». أخرجه
مسلم في كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة رقم (٥٩٧).

= (٣) عن عائشة قالت: إن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا أكل أحدكم طعاماً

واللباس^(١) ، والجماع^(٢) .

= فليذكر اسم الله . فإن نسي أن يذكر الله في أوله ، فليقل : باسم الله على أوله وأخره» .

أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة / باب التسمية على الطعام رقم (٣٧٦٧) والترمذى في كتاب الأطعمة / باب ماجاء في التسمية على الطعام رقم (١٨٥٨) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وصححه الألبانى في صحيح الجامع رقم (٣٨٠) .

(١) عن أبي سعيد أن النبي - ﷺ - كان إذا اكتسى ثوباً سماه باسمه : عمامه أو قميص أو رداء ، ويقول : «اللهم لك الحمد ، أنت كسوتني ، أسألك من خيره وخير ما صنع له . وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له» . الحديث أخرجه أحادى / ٣٠ ، ٥٠ وأبوداود في كتاب اللباس / باب ماجاء في اللباس رقم (٤٠٢٠) والترمذى في كتاب اللباس / باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً رقم (١٧٦٧) وقال أبو عيسى : وهذا حديث حسن غريب صحيح والحاكم في مستدركه ١٩٢ / ٤ وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وابن حبان كما في الموارد رقم (١٤٤٢) وابن السنى في عمل اليوم والليلة / باب ما يقول إذا ليس ثوباً رقم (١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٠٩) وأبو يعلى في مسنده رقم (١٠٧٩) .

(٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال النبي - ﷺ - : «لو أن أحد هم إذا أراد أن يأتي أهله . قال : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزتنا . فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً» . الحديث أخرجه البخارى في كتاب الدعوات / باب ما يقول إذا أتى أهله ١٦٣ / ٧ ومسلم في كتاب النكاح / باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع رقم (١٤٣٤) وابن السنى في عمل اليوم والليلة رقم (٦٠٨) .

وَدُخُولِ الْمَنْزِلِ^(١) وَالْمَسْجِدِ^(٢) وَالْخَلَاءِ^(٣)، وَالْخُرُوجِ
مِنْ ذَلِكَ، وَعِنْدَ الْمَطَرِ^(٤) وَالرَّعْدِ^(٥)، إِلَى غَيْرِ

(١) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ - : «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المأowج وخير المخرج، بسم الله وبخنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم يسلم على أهله» الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ما يقول إذا خرج من بيته رقم (٥٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٣٩).

(٢) قال رسول الله - ﷺ - : «إذا دخل أحدكم المسجد، فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج، فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب ما يقول إذا دخل المسجد رقم (٧١٣) وسيأتي تخریجه كاملاً ص ٥٥.

(٣) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان النبي - ﷺ - إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبر والخباش». الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب الدعاء عند الخلاء ١٥٠ ومسلم في كتاب الحيض / باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء رقم (٣٧٥).

(٤) عند عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - كان إذا رأى المطر قال: «اللهم صبياً نافعاً».

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء / باب ما يقال إذا أمطرت ٢١/٢.

(٥) ورد عن عبدالله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» ثم يقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

ذلِكَ، وَقَدْ صُنِّفَتْ لَهُ الْكُتُبُ الْمُسَمَّأَةُ بِعَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ^(١).
 ثُمَّ مُلَازِمَةُ الذِّكْرِ مُطْلِقاً، وَأَفْضَلُهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).
 وَقَدْ تَعْرُضُ أَحَوَالٌ يَكُونُ بَقِيَّةُ الذِّكْرِ مِثْلَ : «سُبْحَانَ اللَّهِ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، أَفْضَلُ مِنْهُ^(٣).

= أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الكلام / باب القول إذا سمعت الرعد ص
 رقم (٩٩٢).

(١) مثل كتاب عمل اليوم والليلة للإمام النسائي وللإمام ابن السنى وكتاب الأذكار النووية للإمام النووي وكتاب الكلم الطيب للإمام ابن تيمية وكتاب الوابل الصيب للإمام ابن القيم وغيرها.

(٢) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنها - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله». الحديث أخرجه الترمذى في كتاب الدعاء / باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة رقم (٣٣٨٣) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
 وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الحامدين رقم (٣٨٠٠).

والحاكم في المستدرك ٥٠٣/١ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألبانى في صحيح الجامع رقم (١١٠٤).
 (٣) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله - ﷺ - قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات» قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: «الملة» قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: «التكبير والتهليل والتسبیح ، والتحمید ولا حول ولا قویة إلا بالله».

الحديث أخرجه أحمد ١/٧١ و٣/٧٥ و٤/٢٦٨ وأبويعلى في مسنده رقم (١٣٨٤).

ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَكَلَّمُ بِهِ الْلِسَانُ وَتَصَوَّرُهُ الْقَلْبُ مَا يُقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ تَعْلُمِ عِلْمٍ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَمْرٍ مَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، فَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَلِهَذَا مَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ ، أَوْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَتَفَقَّهُ أَوْ يُفَقَّهُ فِيهِ الْفِقْهُ الَّذِي سَمِّاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِيهَا، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَفْضَلِ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَعَلَى ذَلِكَ إِذَا تَدَبَّرْتَ لَمْ تَجِدْ بَيْنَ الْأَوَّلَيْنَ فِي كَلِمَاتِهِمْ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ كَبِيرًا اخْتِلَافٌ .

وَمَا اشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلَى الْعَبْدِ فَعَلَيْهِ بِالاسْتِخَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ^(١) ، فَمَا

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٢ / ١ قلت في الصحيح بعضه - رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وروجاه رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله مولى عثمان بن عفان وهو ثقة .

وقال في مجمع الزوائد ٩٠ / ١٠ رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال : وما هن بدلاً وما هي . وإن سادها حسن .

(١) عن جابر - رضي الله عنه - قال : كان النبي - ﷺ - يعلمونا الاستخاراة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول : اللهم إني أستخلك بعلمه واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال : في عاجل أمري وأجله قادره لي . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال : في عاجل أمري

نَدَمَ مَنْ اسْتَخَارَ اللَّهَ - تَعَالَى - . وَلَيُكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ وَمِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ، وَلَا يَعْجِلُ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ يُسْتَجِبْ لِي^(١)، وَلَيَتَحَرَّ الأَوْقَاتُ الْفَاضِلَةُ: كَآخِرِ اللَّيلِ^(٢)، وَأَدْبَارِ

=
وَأَجْلِهِ، فَاصْرَفْهُ عَنِي وَاصْرَفْنِي عَنْهُ وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حِيثُ كَانَ، ثُمَّ رَضَنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ.

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب الدعاء عند الاستخارة
١٦٢/٧.

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - ﷺ - قال: «يستجاب لأحدكم مالم يعدل يقول: دعوت فلم يستجب لي».

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب يستجاب للعبد مالم يعدل ١٥٣/٧.

(٢) أخرج البخاري في كتاب التهجد / باب الدعاء والصلة من آخر الليل عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» ٤٧/٢.

ومسلم في كتاب صلاة المسافرين / باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل رقم (٧٥٨).

وابوداود في كتاب السنة / باب في الرد على الجهمية رقم (٤٧٣٣).
والترمذى في كتاب الصلاة / باب ماجاء في نزول الرب عز وجل رقم (٤٤٦).

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ماجاء في أي ساعات الليل أفضل رقم (١٣٦٦).

الصلوات^(١)، وعند الأذان^(٢)، ووقت نزول المطر^(٣)، ونحو ذلك.

واما ارجح المكاسب: فالتوكل على الله، والثقة بكفائه، وحسن الظن به. وذلك انه ينبغي للهمتهم بأمر الرزق؛ لأن يلتجأ

- (١) أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواقع الصلاة / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفتة رقم (٥٩٧) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ -: «من سبع الله في دبر كل صلاة ثلاثة وثلاثين، وحمد الله ثلاثة وثلاثين، وكبر الله ثلاثة وثلاثين. فتلك تسعه وتسعون. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. غفرت خطايته وإن كانت مثل زبد البحر». (٢) عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال: «ألا إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فادعوا».

أخرجه أحمد في مسنده ١١٩/٣، ١٥٥، ٢٢٥، ٢٥٤. وأبوداود في كتاب الصلاة / باب ماجاء في الدعاء بين الأذان والإقامة رقم (٥٢١) والترمذى في كتاب الصلاة باب ماجاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة رقم (٢١٢) وقال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح . وكذلك أخرجه في كتاب الدعوات / باب في العفو والعافية رقم (٣٥٩٤) و (٣٥٩٥) وأبو يعلى في المسند رقم (٣٦٧٩) و (٣٦٨٠) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٩٦) والبيهقي في السنن الكبرى ٤١٠ / ١ وفي السنن الصغرى رقم (٢٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٥) وحسن روایة الحاکم رقم (٣٤٠٦).

(٣) سبق تخریجہ ص ٣٧

فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ - فِيمَا يَأْثُرُ عَنْهُ نَبِيُّهُ: «كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَأَسْتَطِعُمُونِي، أَطْعِمُكُمْ». يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُوْنِي، أَكُسُّكُمْ»^(١) وَفِيمَا رَوَاهُ التَّرمذِيُّ عَنْ أَنَّسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: «لِيَسْأَلُ أَحَدُكُمْ رَبِّهِ حَاجَتَهُ كُلُّهَا، حَتَّىٰ شَسْعٍ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُسْرِهِ لَمْ يَتَيَّسِّرْ»^(٢).

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ: «وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ».

[النساء: ٣٢]. وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ».

[الجمعة: ١٠]. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الْجُمُعَةِ، فَمَعْنَاهُ قَائِمٌ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ.

وَلَهُمَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَمْرُ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ أَنْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب / باب تحريم الظلم رقم ٢٥٧٧). وأحمد بن حنبل في مسنده ٥/٨١٥١.

(٢) لم أقف عليه عند الترمذى كما قال المصنف - رحمه الله تعالى -.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٥٣ / ١٠ «رواه الترمذى غير قوله: وحتى يسأله الملحق» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة. وعن عائشة قالت: سلوا الله كل شيء حتى الشسعة فإن الله إن لم يسره لم يتيسر. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله ابن المنادي وهو ثقة.

وال الحديث رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٣٤٠٣). وابن السنى في عمل اليوم والليلة رقم (٣٥٦) و (٣٥٧) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٤٠٢).

يَقُولُ : «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وَإِذَا خَرَجَ أَنْ يَقُولَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(١) وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ - ﷺ - «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ» . [العنكبوت: ١٧] . وَهَذَا أَمْرٌ، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الإِيجَابَ . فَالاِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَاللُّجْأَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ أَصْلٌ عَظِيمٌ .

ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمَالَ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ لِيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَأْخُذُهُ بِإِشْرَافٍ وَهَلْعٍ^(٢) ، بَلْ يَكُونُ الْمَالُ عِنْدَهُ : بِمَنْزِلَةِ الْخَلَاءِ ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب ما يقول إذا دخل المسجد رقم (٧١٣) وأبوداود في كتاب الصلاة / باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد رقم (٤٦٥) والترمذى في كتاب الصلاة / باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد رقم (٣١٥) .

وابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات / باب الدعاء عند دخول المسجد رقم (٧٧٢) .

والنسائي في كتاب المساجد / باب القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه ٢/٥٣ رقم (٧٢٧) وأحمد في مسنده ٣/٤٩٧ و ٤/٤٢٥ .

(٢) أخرج البخاري في كتاب الوصايا / باب تأويل قول الله تعالى : «مَنْ بَعْدَ وَصِيَةٍ تَوَصَّونَ بِهَا أَوْ دِينَ» ٣/١٨٩ أَنَّ حَكِيمَ بْنَ حَزَامَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ : سَأَلَتْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ لِي : «يَا حَكِيمًا ! إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرٌ حَلْوٌ، فَمَنْ أَخْذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورَكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخْذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارِكَ لَهُ فِيهِ . . .» .

وكذا أخرجه في كتاب الزكاة / باب الاستعفاف عن المسألة ٢/١٢٩ ، ١٣٠ في كتاب الرفاق / باب قول النبي - ﷺ - : «هَذَا الْمَالُ خَضْرَةٌ حَلْوَةٌ =

الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْقَلْبِ مَكَانٌ، وَالسَّعْيُ فِيهِ
إِذَا سَعَى : كِإِصْلَاحِ الْخَلَاءِ .

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ التَّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ : «مَنْ
أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُهُمْ : شَتَّى اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، وَفَرَقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتُهُ،
وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ . وَمَنْ أَصْبَحَ وَالآخِرَةُ أَكْبَرُهُمْ :
جَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلُهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ
رَاغِمَةً»^(١) .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدُّنْيَا؛ وَأَنْتَ إِلَى نَصِيبِكِ

= ١٧٦/٧ وفي كتاب الأحكام / باب رزق الحكام والعاملين عليها
١١٢، ١١١/٨ .

ومسلم في كتاب الزكاة / باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلی رقم
(١٠٣٥) وفي باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف رقم
(١٠٤٥) .

والترمذی في كتاب صفة القيامة / رقم (٢٤٦٣) والنسائي في كتاب الزکاة /
باب اليد العليا ٥ / ٦٠ رقم (٢٥٢٩) . وفي باب مسألة الرجل في أمر لا بد
له منه ٥ / ١٠٠ ، ١٠١ رقم (٢٥٩٩) (٢٦٠٠) .

والدارمي في كتاب الزکاة / باب النهي عن رد اهديه رقم (١٦٥٤) وفي باب
النهي عن المسألة رقم (١٦٥٧) وفي كتاب الرفاق / باب الدنيا خضراء حلوة
رقم (٢٧٥٣) وأحمد في مسنده ١ / ١٧ ، ٢١ ، ٢٤٠ ، ٩٩ / ٢٤٠ .

(١) أخرجه الترمذی في كتاب صفة القيامة رقم (٢٤٦٥) وأحمد في المسنـد
٥ / ١٨٣ وصححـه الألبـاني في صحيحـ الجامـع رقم (٦٥١٠) .

مِنَ الْآخِرَةِ أَحْوَجُ، فَإِنْ بَدَأْتَ بِنَصِيبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ مُرْ عَلَى نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا؛ فَانْتَظِمْهُ اِنْتِظَاماً。 قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ * مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ。 [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فَأَمَّا تَعْيِنُ مَكْسِبَ عَلَى مَكْسِبٍ مِنْ صِنَاعَةِ، أَوْ تِجَارَةِ، أَوْ بَنَاءِيَةِ، أَوْ حِرَاثَةِ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، فَهَذَا يَخْتَلِفُ بِالْخِتَالَافِ النَّاسِ ، وَلَا أَعْلَمُ فِي ذَلِكَ شَيْئاً عَامِّاً، لَكِنْ إِذَا عَنَّ لِلْإِنْسَانِ جَهَةً فَلَيَسْتَخِرُ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهَا الْاسْتِخَارَةَ الْمُتَلَقَّاهَا عَنْ مُعْلَمِ الْخَيْرِ - ﷺ - فَإِنْ فِيهَا مِنَ الْبَرَكَةِ مَالَا يُحَاطِبُ بِهِ . ثُمَّ مَا تَيَسَّرَ لَهُ، فَلَا يَتَكَلَّفُ غَيْرَهُ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَرَاهَةً شَرِيعَةً.

وَأَمَّا مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ فِي الْعِلْمِ : فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَهُوَ أَيْضًا يَخْتَلِفُ بِالْخِتَالَافِ نَشْءِ الْإِنْسَانِ فِي الْبَلَادِ، فَقَدْ يَتَيَسَّرُ لَهُ فِي بَعْضِ الْبَلَادِ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِهِ، وَمَدْهُبِهِ فِيهِ مَا لَا يَتَيَسَّرُ لَهُ فِي بَلَدٍ آخَرِ.

لَكِنْ جَمَاعُ الْخَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَحْقُ أَنْ يُسَمَّى عَلَيْهَا، وَمَا سَوَاهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا، فَلَا يَكُونُ نَافِعاً، وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ عَلَيْهَا وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ . وَلَئِنْ كَانَ عَلَيْهَا نَافِعاً فَلَابَدَ أَنْ يَكُونَ فِي مِيرَاثِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - مَا يُعْنِي عَنْهُ؟ مَا هُوَ مِثْلُهُ وَخَيْرٌ مِنْهُ .

وَلَتَكُنْ هِمَّتُهُ فَهُمْ مَقَاصِدُ الرَّسُولِ فِي أَمْرِهِ وَنَهِيهِ وَسَائِرِ كَلَامِهِ .

فَإِذَا اطْمَأَنَ قَلْبُهُ : أَنَّ هَذَا هُوَ مَرَادُ الرَّسُولِ ؛ فَلَا يَعْدِلُ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ - تَعَالَى - وَلَا مَعَ النَّاسِ إِذَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ .

وَلِيَجْتَهِدَ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِأَصْلِ مَأْثُورٍ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ . وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مَا قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ ، فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ : «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبَرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا أُخْتِلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ^(١) .

فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ : «يَا عِبَادِي ! كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَأَسْتَهْدُونِي، أَهْدِكُمْ» ^(٢) .

وَأَمَّا وَصْفُ «الْكُتُبِ وَالْمُصَنَّفِينَ»، فَقَدْ سُمِعَ مِنَّا فِي أَثْنَاءِ الْمُذَاكَرَةِ مَا يَسِّرَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - .

وَمَا فِي الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ الْمُبَوَّبَةِ : كِتَابٌ أَنْفَعُ مِنْ «صَحِيحِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ / بَابِ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيلِ وَقِيَامِهِ رَقمُ (٧٧٠) وَأَبُو دَاوُدُ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ / بَابِ مَا يَسْتَفْتَحُ بِهِ الصَّلَاةُ مِنَ الدُّعَاءِ رَقمُ (٧٦٧) وَابْنُ ماجِهِ فِي كِتَابِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسَّنَةِ فِيهَا / بَابِ ماجِاءِ فِي الدُّعَاءِ إِذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيلِ رَقمُ (١٣٥٧) .

(٢) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ .

مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيِّ»، لِكَنْ هُوَ وَحْدُهُ لَا يَقُومُ بِأَصْوَلِ الْعِلْمِ، وَلَا يَقُومُ بِتَهَامِ الْمَقْصُودِ لِلْمُتَبَخِرِ فِي أَبْوَابِ الْعِلْمِ، إِذَا لَأَبْدَى مِنْ مَعْرِفَةِ أَحَادِيثَ أَخْرِ.

وَكَلَامُ أَهْلِ الْفَقْهِ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِعِلْمِهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ. وَقَدْ أَوْعَبَتِ الْأَمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إِيْعَابًا^(١).

(١) أول ما يعنـى به طالبـ العلم في سـبيل تحـصـيلـه للـعلوم هو القرآنـ الكـريم حـفـظـاً وـفـهـاً وـتـدـبـراً وـوقـوفـاً عـلـى دـلـائـلـه وـمـعـانـيه وـأـفـضـلـ ماـكـتـبـ في تـفـسـيرـه كـتابـ إـمامـ المـفـسـرينـ ابنـ جـرـيرـ الطـبـريـ . وـكـذا تـفـسـيرـ ابنـ كـثـيرـ وـالـقـرـطـبـيـ وـالـبـغـوـيـ وـمـنـ الـمـعـاصـرـينـ أـصـوـاءـ الـبـيـانـ لـلـشـفـقـيـ وـفـي ظـلـالـ الـقـرـآنـ لـسـيدـ قـطـبـ رـحـمـهـمـ اللـهـ جـيـعاـ .

وـمـنـ كـتبـ السـنـنـ وـشـرـوحـها صـحـيـحـ الإـمامـ الـبـخـارـيـ وـشـرـحـه فـتحـ الـبـارـيـ لـلـحـافـظـ اـبـنـ حـجـرـ وـصـحـيـحـ الإـمامـ مـسـلـمـ وـشـرـحـه لـلـإـمامـ التـوـرـيـ وـشـرـحـ آخرـ لـلـإـمامـ الـقـرـطـبـيـ وـالـسـرـاجـ الـوـهـاـجـ لـصـدـيقـ حـسـنـ خـانـ .

وـكـذا كـتبـ السـنـنـ وـشـرـوحـها مـثـلـ تـحـفـةـ الـأـحـوـذـيـ لـشـرـحـ التـرـمـذـيـ وـعـوـنـ الـمـعـبـودـ بـشـرـحـ سنـنـ أـبـيـ دـاـوـدـ وـفـتـحـ الـرـبـانـيـ بـشـرـحـ مـسـنـدـ الإـمامـ أـحـمـدـ وـغـيـرـ ذـلـكـ مـنـ كـتبـ السـنـنـ مـثـلـ كـتابـ السـنـنـ لـلـلـالـكـائـيـ وـابـنـ أـبـيـ عـاصـمـ .

أـمـا كـتبـ التـوـحـيدـ وـالـعـقـائـدـ مـثـلـ كـتابـ شـرـحـ الـعـقـيدةـ الـطـحاـوـيـةـ وـالـعـقـيـدةـ الـواـسـطـيـةـ وـكـتابـ لـوـامـعـ الـأـنـوـارـ الـبـهـيـةـ وـكـتابـ التـوـحـيدـ لـابـنـ خـزـيمـةـ وـكـتابـ التـوـحـيدـ لـابـنـ رـجـبـ الـخـبـلـيـ بـتـحـقـيقـيـ وـكـتابـ التـوـحـيدـ لـلـإـمامـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـوـهـاـبـ وـكـتابـ الـعـلـوـ لـلـعـلـيـ الـغـفارـ لـلـحـافـظـ الـذـهـبـيـ وـكـتابـ الـإـيمـانـ لـابـنـ منـدـهـ وـابـنـ أـبـيـ شـيـبةـ .

فَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ هَذَا بِمَا يَتْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَأَهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إِلَّا حِيرَةً وَضَلاًّ^(١)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - لَأَبِي لُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ: «أَوْلَيْسِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟ فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟»^(٢).

وبالجملة كتب العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب ابن رجب الحنبلي وكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده وتلاميذه وكتب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والعلامة الألباني وفضيلة الشيخ ابن عثيمين والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب وغيرهم.

(١) فهم أشبه حالاً وما لا من قال الله فيهم وهو أصدق القائلين: «مثلك الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين». [الجمعة: ٥].

وهم أشبه حالاً وما لا بالإبل التي يقتلها الظما في جوف الصحراء وهي تحمل الماء على ظهورها لم تفدهم ولم ترتو وقد صورها الشاعر بقوله:

كالعيس في البداء يقتلها الظما و الماء على ظهورها محمول

(٢) عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - فشخص يبصره إلى السماء. ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء». فقال زياد بن لبيد الأنباري: كيف يختلس منا وقد قرأت القرآن؟! فوالله لنقرأنه ولنفترته نساءنا وأبناءنا. فقال: «تكلتك أملك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغنى عنهم؟» فقال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت. قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذى قال أبو الدرداء. قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثنك بأول علم يرفع =

فنسأـل الله العـظـيم أـن يـرـزـقـنـا الـهـدـىـ والـسـدـادـ، وـيـلـهـمـنـا رـشـدـنـاـ،
وـيـقـيـنـا شـرـ أـنـفـسـنـاـ، وـأـنـ لـآـ يـزـيـغـ قـلـوبـنـاـ بـعـدـ إـذـ هـدـانـاـ، وـيـهـبـ لـنـاـ مـنـ
لـدـنـهـ رـحـمـةـ إـنـهـ هـوـ الـوـهـابـ، وـالـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ وـصـلـوـاتـهـ عـلـىـ
أـشـرـفـ الـمـرـسـلـينـ.

= من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً.

أخرجه أبو عيسى الترمذى في كتاب العلم / باب ماجاء في ذهاب العلم رقم (٢٦٥٣) والدارمى في المقدمة / باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله رقم (٢٩٤).

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع المقدمة
٣	
٥	الوصيـة لطالب العـلـم
٨	دعاـة لفتح عواصـم الجـاهـلـية الثـانـيـة
٩	الوصـيـة بـتـقـوى الله وـحـسـن الـخـلـق
١٠	بعـض صـفـات المـتـقـين
١٣	ترجمـة شـيخ إـسـلام
٢٥	سـؤـل أـبـي القـاسـم المـغـربـي
٢٥	أـنـفع وأـجـمـع وـصـيـة وـصـى الله بـهـا عـبـادـه
٢٦	وصـيـة رـسـول الله - ﷺ - لـمـاعـذ وـمـكـانـتـه عـنـدـه
٣٠	جماعـهـذهـالـوصـيـةـفـيـآـدـاءـحـقـالـهـوـحـقـالـعـبـادـ
٣١	الـذـنـوبـيـزـوـلـمـوجـبـهـاـبـأشـيـاءـ
٣٢	الـكـفـارـاتـالـمـقـدـرـةـ
٣٥	الـكـفـارـاتـالـمـطـلـقـةـ
٣٧	شـبـهـهـذـهـأـمـةـبـالـيهـودـوـالـنـصـارـىـ
٤٠	الـمـصـائـبـالـمـكـفـرـةـتـزـيلـمـوجـبـالـذـنـوبـ
٤١	جماعـالـخـلـقـالـحـسـنـ
٤٢	تعريفـجامـعـلـمـعـنىـالتـقوـىـ
٤٤	أـفـضـلـالـأـعـمالـبـعـدـالـفـرـائـضـ
٤٧	الـاذـكـارـالـمـقـيـدةـ
٥١	الـاستـخـارـةـمـشـروـعـةـفـيـهاـاشـتـهـيـأـمـرـهـعـلـىـالـعـدـ
٥٣	أـرجـحـالـمـكـاسـبـ
٥٧	جماعـالـخـيـرـفـيـتـلـقـيـالـعـلـمـ
٦٣	الفـهـرـسـ

كتب للمحقق

نشر دار القاسم	ابن رجب العنبي	١. كتاب التوحيد
نشر دار القاسم	الإمام أحمد بن حنبل	٢. الصلاة
دار السلام	ابن القاسم الجوزي	٣. صوم النبي - ﷺ
دار الحميضي	ابن رجب العنبي	٤. غاية النفع
دار الحميضي	شيخ الإسلام ابن تيمية	٥. الوصيّة الصغرى
دار الوطن		٦. وقفات مع الأسرة
دار السلام		٧. تذكير ذوي القلوب
دار الحميضي		٨. المؤمن بين البلاء والصبر
دار المسلم		٩. أيهم أمان!
دار الفاروق		١٠. الصراع مع الشيطان
دار الفاروق		١١. الجريمة الأولى
دار الفاروق		١٢. الطاغوت الأكبر

(قصص للأطفال)

دار القاسم	١٣. جزاء من لم يسمع كلام أبيه
دار المراجعة الدولية	١٤. الأدب مع الله عز وجل
دار المراجعة الدولية	١٥. الأدب مع رسول الله - ﷺ
دار ابن الجوزي	١٦. الجماعة رحمة والفرقة عذاب
دار ابن الجوزي	١٧. كماتدين تدان